Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (6), Issue (2) December (2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

النفقات المالية للسيدة بنفشا بنت عبد الله (ت٥٩٨هـ/١٢٠١م)

م.د هند ستار هادي

مركز الحاسبة الالكترونية/الجامعة العراقية

The Financial expenditure of Ms. Benfasha Bint Abdu-Allah 598/1201

Dr. Hind Sattar Hadi
Eletronical computer center/Aliraqiya University
hind.s.hadi@aliraqia.edu.iq

ملخص البحث:

بنفشا او **بنفشة** رومية الاصل، جارية من جواري البلاط العباسي التي نالت حظوة ومحبة الخليفة العباسي المستضيء بامر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٧٩م)، وعرفت بنفقاتها الكثيرة لاعمال الخير، والبر، والصدقات، فكانت كثيرة الاحسان للناس، وتميزت بانجازاتها واعمالها العمرانية والتعليمية التي تمثل احد اوجه الانفاق في تلك المدة مثل بناء الرباط للصوفية، والمسجد في بغداد، والمدرسة الشاطئية الواقعة على شاطيء دجلة، او مدرسة بنفشا التي اوقفتها للحنابلة ومذهبهم السائد في بغداد في تلك الحقبة، وتولى النظر فيها العالم، والاديب، والشيخ، جمال الدين بن الجوزي، واستمرت باعمالها حتى توفت سنة – **الكلمات المفتاحية: بنفشا، جارية، مدرسة، سقاية، انفاق.**

Abstract:

It shows through the studay **(The Financial expenditure of Ms. Benfash Bint-Abdullah 598/1201):-** We are reading the biography of scientists and prominent figure in history books and other sources to comprehend the mind psychological since childhood and its reflect of what they had becam in their time but if we lost it, their achievements can tell who they are like Ms. Benfasha s activities in physical and educational sides.-The love of the Abbasid Caliph(**Al-Mustadhy-Biamr-Allah**) for **Ms.Benfasha** played a majore role to complete her achievements by supporting her activities like the building of bridges, schools and others.-Women sharing men in all life sides which reflecting the open minds at that period and shows women s contributions in civilization progress.-**Benfasha** school or **Al-Shatiya** school was for Hanbali which was spreated in Baghdad to learn peoples and educate them with it by Shikh **Jamal-Aldin Ibn Al- jawzy**.- The great developments of the physical-architectural sciences represent by the designing and the building of (**Siqaya**) with its four floors for Baghdad s peoples who admired it and poets appealed for poetry

Key wards:Benfasha, maid, school, siqaya, spending, financial expenditure .

المقدمة:

اعمال البر، والصدقات، وحب الخير للناس، وتقديم اولوياتهم على المصالح الشخصية فضلا عن نشاطات عمرانية– تعليمية لاهالي بغداد مثل بناء الجسر، والسقاية، والمدرسة في نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي، هي اهم انجازات ,ونفقات الدولة متمثلة بالسيدة **(بنفشا بنت عبد الله)** جارية الخليفة العباسي المستضيء بامر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٧٧م)، الرومية الاصل، الحنبلية المذهب التي لم نقف على سيرتها في كتب الطبقات والتراجم، وكتب التاريخ او المصادر المختلفة مثل نشأتها منذ الطفولة، او العلوم التي درستها، او الطريقة التي وصلت بها الى دار الخلافة، وكعادة الجواري في البلاط العباسي يتلقين علوما، وادبا، وحكمة قبل الخدمة في القصر ولا نعلم ما تلقته السيدة **(بنفشا)** من حكمة ودروسا الا ان اعمالها نالت ثناء المؤرخين والمصنفين الذين اشادوا بصدقاتها، واحسانها للمحتاجين، واثرها في شخص الخليفة اذ كانت من المقربات اليه بين جواري القصر فقد اشارت عليه بتولية ابنه الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٧-١٢٢٤م) من بعده وبلغ الموضوع

من الاهمية كونه يتناول دورا مهما لمحظية الخليفة التي وجدت دعما ومساندة مادية ومعنوية منه اما لجمالها، او علمها، او لحسن اخلاقها وامرها بالمعروف كالذي تلمسناه في تقربها لخدمة الناس والتعامل الطيب معهم، كما وبلغت سيرتها من الاهمية كونها تعكس انفتاحا فكريا عند الناس لتتمكن من مزاولة نشاطاتها خدمة لهم وبترحيب طيب وانبهار كبير منهم لهذه الانجازات، كما وان اطلاعنا على بناء الجسور، والقناطر، والربط، والمدارس في تلك المدة تبرز التقدم الحضاري في خلافة الخليفة العباسي المستضيء بامر الله، ودليلا على طبيعة المذهب السائد في بغداد في تلك المدة متمثلا بالمدرسة (**الشفائية**) او المدرسة (**الشاطئية**) وتدريس العالم الشيخ جمال الدين بن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) فيها الذي اعتمدنا في البحث على كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) الاعتماد الاكبر كونه تطرق الى اعمال السيدة (بنفشا) اكثر من غيره وربما لكونه على مقربة منها ومن الخليفة العباسي (المستضيء بامر الله) مما دفعه للاهتمام بانجازاتها خاصة انه تولى النظر في مدرستها الشاطئية وله فيها الكلمة النافذة العليا ، هذه المدرسة التي اجادت السيدة (**بنفشا**) تأسيسها ولاقت اهتمام الخليفة وحضوره اولى حلقاتها، ودعمت الصوفية فيها، وولت اخت (ابو بكر الزوزني) النظر فيه شيخ رباط الزوزني، وبذلت لهم جزيل العطاياتضمن البحث المقدمة، ومبحثا فيه سردا بسيطا عن السيدة (**بنفشا بنت عبد الله**)كون المصادر لم تسعفنا سوى القليل عن سيرتها او حياتها ، وفيه اولا: ارآء العلماء فيها، وثانيا: وفاتها، وثالثا: الانجازات العمرانية – التعليمية للسيدة بنفشا بنت عبد الله المتمثلة ببناء الرباط، والمسجد، وتأسيس الجسر، وتشييد السقاية، وبناء المدرسة الشاطئية او مدرسة بنفشا، فضلا عن الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الاول: السيدة بنفشا بنت عبد الله (ت٥٩٨هـ/١٢٠١م):

اولا: ارآء العلماء فيها:بنفشا او بنفشة بنت عبد الله الرومية جارية الخليفة العباسي ابو محمد المستضيء بامر الله (٥٦٦-٥٧٥ هـ/١١٧٠-١١٧٩م)، الثالث والثلاثون من الخلفاء العباسيين، اي ان اصولها رومية، وغالبا ما يأتون بالجواري من هذه البلاد البعيدة مثل بلاد الاتراك، او بلاد الرومية، او البلاد الارمنية الى دار الخلافة شراءاً، او من بين الهدايا المقدمة للخليفة، او الحروب، ولم يرد في المصادر شيئا عن سيرتها او نشأتها سوى انهم اتفقوا على كونها " جارية الخليفة". (الذهبي، ١٩٩٣، صفحة ج٤٢،ص٣٤٢)، (الصفدي، ٢٠٠٠، صفحة ج١٠، ص١٨٥)، او " مولاة الامام المستضيء" (بن الساعي، ١٩٦٨)، ص١١١)، ورد هذا عند جلال الدين السيوطي " مولاة المستضيء بالله، كانت صالحة كثيرة الخير"، (السيوطي، ١٩٧٦، ص١٦وعدها ابن الجوزي " الجهة المعظمة المسماة بنفشة".(بن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٨،ص٢٣٨)، وعند ابن كثير الست الجليلة "،(بن كثير، ١٩٩٧، ج١٦، ص٧١٩)، تقديراً واحتراما لمنزلتها عند الخليفة، وتثمينا لجهودها الاصلاحية العمرانية والتعليمية في بغداد وقد اشاد المؤرخون بكرم السيدة (بنفشا) وجزيل صدقاتها، واهتمامها بالعلوم والعلماء، فهي عند ابن الاثير" كثيرة المعروف، والاحسان، والصدقة "، (بن الاثير، ١٩٩٧، ج١٠، ص١٨٧)، وذكرها سبط بن الجوزي " كانت كريمة، صالحة، كثيرة الصدقات والصلات، ...وتصدقت باموال كثيرة على العلماء، والفقراء، والمساكين"، (سبط بن الجوزي، ٢٠١٣، ج٢٢، ص١٢٥)، ورد ذكرها عند ابن الساعي" كانت صالحة، كثيرة الخير، فائضة المعروف، متفقدة للفقراء والمساكين، كثيرة الصدقة والبر"، (بن الساعي، ١٩٦٨، صفحة ١١١)، فهي كثيرة " الرغبة في افعال البر".(بن كثير، ١٩٩٧، ج١٦،ص٧١٩)ورغم اننا لم نقف على نشأة السيدة (**بنفشا**) الا اننا نتلمس جميل سيرتها وعمق ايمانها من خلال ثناء المؤرخين عليها اذ كانت كثيرة الاصلاح بين الناس ، والتفقد لهم، والانفاق عليهم، والتصدق للفقراء والمساكين، ومن الصالحات الآمرات بالمعروف. كما ويتضح انها كانت من المقربات وذوات الاثر الرقيق على قلب الخليفة العباسي(المستضيء بامر الله) اذ " كان كثير الميل اليها والمحبة لها "، (بن الاثير، ١٩٩٧، صفحة ج١٠، ص١٨٧)، وقيل بان " لها مكانة رفيعة عنده، والمنزلة العالية، والحكم النافذ، والامر والنهي"، (بن الساعي، ١٩٦٨، صفحة ١١١)، ولعله حافزا لها لتحقيق اعمالها العمرانية والتعليمية على ارض بغداد وشاطيء دجلة ليكون لها الاثر الجميل في دعم حضارة البلاد اسوة بالعلماء من الرجال، ورد هذا عند صلاح الدين الصفدي، اذ ذكر "كانت احب سراريه اليه "، (الصفدي، ٢٠٠٠، صفحة ج١٠، ص١٨٥)، وبلغت من القرابة له ان " اشارت على الخليفة ان يجعل ولي عهده ابنه الناصر لدين الله احمد "، (الصفدي، ٢٠٠٠)، فقد تختلف منزلة الجواري عند الخليفة وفقا لمقاييس تتميز بها عن غيرها ولعل الخليفة وجد فيها جمالا، او علما، او حكمة جعلتها الاقرب اليه دون غيرها من جواريه.والذي نود قوله اننا قد لا نقف على تفاصيل سيرة احدهم لكننا نقتفي اثر اعماله وانجازاته التي عادة ما تكون مرآة لشخصه، واحسانه، وطبيعة نشأته، وهذا ما نتلمسه في عطف السيدة (**بنفشا**) على افراد مجتمعها، وتفقدها لاحوالهم، والتزامها العميق بمباديء الدين الاسلامي اذ كانت " تخرج زكاة الفطر صاعا من التمر ثم تقول: هذا ما فرضه الشرع عليَ وانا لا اقنع من مثلي بهذا، فتخرج صاعا من الذهب العين وتأمر بتفرقته بين الفقراء، واعتقت خلقا من الجواري والمماليك"، (بن الساعي، ١٩٦٨، صفحة ١١٢)، فعادة ما يكون مصير الجواري اما العتق او الزواج بهن.

ثانيا: وفاة السيدة بنفشا بنت عبد الله: اتفقت المصادر على وفاتها يوم الجمعة ٢٩ ربيع الاول سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م، وتولت الجهة (زمرد خاتون) والدة الخليفة العباسي (الناصر لدين الله) وجارية الخليفة العباسي (المستضيء بامر الله)، امرها وجهزتها احسن جهاز، خاصة وان للسيدة **(بنفشا)** اثرا واضحا وداعما في تولية ولدها الخلافة من بعده، اذ ذكر شمس الدين الذهبي " وهي التي اشارت على الخليفة ان يجعل ولي عهده ابنه الناصر لدين الله احمد"،(الذهبي، ١٩٩٣، ج٤٢، ص٣٤٢)، فكان سببا لتقديرها والاهتمام بها من قبل السيدة (زمرد خاتون) وابنها، ودفنت في باب تربة الجهة السعيدة عند قبر معروف الكرخي (بن الساعي، ١٩٦٨) اذ تعد " مقبرة باب الدير هي المقبرة التي فيها قبر معروف الكرخي"، (الخطيب البغدادي، ١٩٩٧، صفحة ج١، ص١٣٤).

ثالثا: الانفاقات المالية للسيدة (بنفشا بنت عبد الله):

اولا: الانجازات العمرانية– التعليمية:

١– **بناء المسجد والرُباط** عدّت الانجازات العمرانية والتعليمية احد اوجه الانفاق من ميزانية الدولة ، اذ اولى الاسلام اهتماما بالغا، وعناية كبيرة لبناء المساجد، واعطاه المنزلة المرموقة بين الانجازات العمرانية الاخرى كونه اهم اعمال البر، ورد في كتب الطبقات والتراجم اصلاحات عمرانية عدة للسيدة **(بنفشا)** التي جاءت اما خدمة للناس او مساندة لهم، او دعما لمذهب ديني سائدا في تلك المدة، ولها الاولوية او الاغلبية فقد " عمرت عدة مساجد"، (الذهبي، ١٩٩٣، صفحة ج٤٢،ص٣٤٢)، وعند سبط ابن الجوزي " عمرت الرُبط والمساجد"، (سبط بن الجوزي، ٢٠١٣، صفحة ج٢٢، ص١٢٥)، ولم يرد في المصنفات التفاصيل العمرانية المتمثلة بمساحة ارض المسجد، وطبيعة البناء، والتصميم المتبع في عمران المسجد، او حتى اسم المسجد ، او المبلغ المالي الذي رصد لاجل عمرانه، وانما اكتفت بهذه الاشارة البسيطة المختصرة خلافا لباقي اصلاحات السيدة **(بنفشا)** التي لاقت حظا اوفراما الرباط فهو من المرابطة، وهو واحد الرباطات المبنية، (الرازي، ١٩٩٩، ص١١٦)، وجانبا رئيسا من مظاهر التطور الحضاري – العمراني، وله دورا مهما في الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، وحظي باهتمام ورعاية الخلفاء والموسرين، وخصصوا لها اوقافا تدر عليه النفقات السخية، ونتلمس معلومات اكثر عن بناء السيدة **(بنفشا)** للرُباط الذي اوقفته لنساء الصوفية وافتتحته اول شهر رجب، " وبنت الجهة المعظمة المسماة بنفشة رباطا في سوق المدرسة (مدرسة بنفشة) للصوفيات وفتحته في رجب، وعملت فيه دعوة، وتكلمت فيه، وافردت لاخت ابي بكر الصوفي شيخ رباط الزوزني ، وفرقت الجهة عليهم مالا"، (بن الجوزي، ١٩٩٢، صفحة ج١٨، ص٢٣٨)، ولفظ **(الجهة)** يراد به السيدة العظيمة من سيدات الخلفاء العباسيين، وهذا يعني اهتمام السيدة **(بنفشا)** بالنساء المعتنقات للصوفية ، ولعلها كانت على علاقة وطيدة مع اخت ابي بكر الصوفي شيخ رباط الزوزني ومحل ثقتها لتفردها بمسؤولية ادارة الرباط لنساء الصوفية، ورباط الزوزني هو "لعلي بن بن محمد بن ماخرة الزوزني الذي ينسب اليه الرباط في بغداد"، (بن حجر العسقلاني، بلا، صفحة ج٤، ص٢٣٤)، ويقع هذا الرباط مقابل جامع المنصور في الجانب الغربي من بغداد، (السمعاني، ١٩٨٢، ج٤، ص١٧٢)، ويبدو ان السيدة (بنفشا) كانت على فصاحة،، ولغة وادب جيد فقد تكلمت في الرباط والقت الخطاب ، وفي رواية اخرى " بنت مسجدا كبيرا بسوق الخبازين قريبا من العقد الحديد "، (بن الساعي، ١٩٦٨، صفحة ١١٤) ولا نعلم المقصود المسجد نفسه ام غيره، كما لم نقف على الموقع الجغرافي لعقد الحديد في بغداد.

٢– **تأسيس الجسر في بغداد** وقدمت السيدة (بنفشا) ما لم تقدمه امرأة اخرى من خدمات عمرانية– حضارية، وردت شذرات بسيطة عند سبط بن الجوزي عن الجسر الذي شيدته السيدة **(بنفشا بنت عبد الله)** " وعقدت جسرا على دجلة "، (سبط بن الجوزي، ٢٠١٣، صفحة ١١٢)، وهذا يعني ان تشييد الجسور لا يقتصر على الخلفاء انما تعداه الى الاشخاص والنساء، ولم ترد اشارة الى تاريخ تشييده، او طبيعته العمرانية وتفاصيلها، او كيفية الانفاق على انشائه رغم انه يمثل خدمة مهمة لاهالي بغداد في تلك المدة، كما لم تذكر المصادر الاخرى شيئا عنه باستثناء ابن الجوزي الذي ذكر سنة تأسيسه وموقعه واضطرارهم الى تغيير مكان الجسر العتيق للتمكن من تنصيب الجسر الجديد " سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م امرت **(بنفشا)** بنصب جسر جديد، وكتبت اسمها على حديدة في سلسلة، وجعل تحت الرقة ، فكان الجسر العتيق، وحمل الجسر العتيق الى نهر عيسى، فبقي تحت الرقة"، وجميعها تمثل نفقة انشاء ونفقات هدم الجسر القديم بما يتضمنه من مواد للعمل واجورالعمال، (ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢١١)، والرقة هي " مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة ايام "، (ياقوت الحموي، ١٩٩٥، صفحة ج٣، ص٥٩).وهذا يعني ان للسيدة **(بنفشا)** شغفا واهتماما بالعمران فنجدها تارة تبني رباطاً، واخرى مسجداً ، او جسراً ، ولعلها ارادت ترك اثرا طيبا لها تُحمد عليه وتنال به البر والصدقة.

٣– **تشييد السقاية:**وجدت السقاية والسقاؤون اهتماما واسعا من قبل الخلفاء وموسري الحال لما تتطلبه من مبالغ مالية كبيرة في سبيل انشائها، بعد ان تلوثت مياه نهر دجلة لاسباب عدة ذكرها ابن بسام " لما كانت الامواج تجلب الاوساخ والاقذار الى الشطوط، وجب ان يكون السقاؤون، يدخلون في الماء الى ان يبعدوا عنه الاوساخ "، (بن بسام، ٢٠٠٣، ص٣٠٠)، كما وحدد الاماكن التي يستقون منها لتجنب التلوث كأن " لا يكون قريبا

من مستحم، ولا مجراة، ولا حمام "، (بن بسام المحتسب، ٢٠٠٣)، لما تجلبه من مواد ملوثة للمياه ولكن صعوبة شراء الفقراء للمياه النقية دعت الخلفاء والموسرين من الناس الى انشاء السقايات العامة في بغداد حتى زاد عددها على مر السنوات، منها (سقاية الراضي، وسقاية جامع الرصافة، وسقاية تربة احمد بن حنبل بالجانب الغربي، وسقاية المدرسة المستنصرية)، والاهم سقاية السيدة **(بنفشا)** التي اختلفت عن سابقتها من السقايات بتصميمها الفريد وانفرد سبط بن الجوزي بذكر السقاية التي شيدتها السيدة **(بنفشا)** بجوار دارها سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م على شاطيء دجلة، والاسلوب العمراني البديع المتبع في البناء الذي غلب عليه الطابع الهندسي المميز القائم على اربع دواليب والذي يتطلب لانشائه بناء دار عالية باربع طوابق في كل منها دولاب " وبنى لها المستضيء بامر الله دارا مجاورة لباب العزية الشريف على شاطيء دجلة، فجاءت عالية البناء، واسعة الفناء، تشتمل على مقاصير، وحجرات، ومناظر، ومنزهات"، (سبط بن الجوزي، ٢٠١٣)وبناء هذه الدار تمثل اولى خطوات العمل لتشييد السقاية بابتكار طريقة محددة لايصال المياه الى دواليبها الاربعة " ويجاور هذه الدار اربعة دواليب تستقي الماء من دجلة الى دار الخلافة المعظمة، كل واحد منهما اعلى من الاخر، فياخذ الاول من دجلة، والثاني من الاول، والثالث من الثاني، والرابع من الثالث"، (سبط بن الجوزي، ٢٠١٣)، ولا نعلم الكيفية المتبعة لايصال الماء الى هذا الارتفاع اذ لم يذكر سبط بن الجوزي شيئا عنها، كما لم نعثر في كتب الالآت المائية او التي تطرقت الى السقايات مثل سقاية السيدة **(بنفشا)** او شبيها لها، (رؤوف، ١٩٧٩، صفحة ١٧٦)، ولعل الاستفادة من ضغط الماء لعب دورا رئيسا في صعوده لاعلى الدواليب، اي ان اجور انشاء هذه السقاية كانت مكلفة جدا لخزينة الدولة اذ تطلبت بناء دارا عالية في مرحلتها الاولى ثم انشاء اربع دواليب واخيرا تأسيس وسيلة ما لصعود المياه لاعلى مستوى ممكن وهذا يعني تطور الفكر الهندسي– العمراني اواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي لابتكار هكذا مشاريع وسقايات التي نالت اعجاب اهالي بغداد " فصار ذلك فرجة الانام ومتنزه الخاص والعام"، (سبط بن الجوزي، ٢٠١٣)، وفيها انشد الشعراء:

ليس شيء يشاكل الحسن في الجسر وما ان لحسنه من موازي

دجلة تحته كمثل بساط ازرق معلم بفرد طراز

٤–**<u>تأسيس مدرسة بنفشا او المدرسة الشاطئية</u>:**وعُدّت مدرسة **(بنفشا)** وتسمى المدرسة (الشاطئية) ايضا كونها واقعة على شاطيء دجلة، من اهم انجازاتها العمرانية– التعليمية، (الادمي، ٢٠٠٣، صفحة ٦٤)، وتمثل خير دليل على حبها واهتمامها بالعلم والتعليم رغم اننا لم نقف شيئا عن العلوم التي تلقتها في صغرها، او عند جلبها الى دار الخلافة.

أ– **<u>اولى خطوات انشاء المدرسة</u>:**ولعل اكثر نفقات الدولة تقع في المبالغ التي عدّت لتشييد المدارس اذ سبقتها المبالغ المخصصة للحروب والمعارك التي تخوضها، وذلك لما يتطلبه انشائها من اموال لشراء ارضها، والعمران فيها، واخرى تمثلت باجور المدرسين، والعاملين عليها، والطلبة الوافدين والمقيمين بها بدءا اشترت السيدة **(بنفشا)** الارض الخاصة بالوزير ابن جهير في باب الشعير بباب الازج، لتشييد المدرسة " نظام الدين ابي نصر بن جهير، ... فجعلتها مدرسة بنفشا"، (بن الجوزي، ١٩٩٢، صفحة ج١٨، ٢١٤)، وهو الذي تولى الوزارة في خلافة الخليفة العباسي القائم بامر الله(٤٢٢–٤٦٧هـ /١٠٣٠ –١٠٧٤م) وولده المقتدي بامر الله (٤٦٧–٤٨٧هـ/١٠٧٤–١٠٩٤م) " الملقب فخر الملك ومؤيد الدين، كان ذا رأي، وعقل، وحزم، وتدبير"، (بن خلكان، ١٩٩٤، ج٥، صص١٢٧–١٢٨)، وردت هذه الراية عند سبط بن الجوزي ايضا اذ ذكر " واشترت دار بن جهير بباب الازج، ووقفتها على الحنابلة، وفوضت نظرها الى الشيخ جمال اليدن بن الجوزي" ، (سبط بن الجوزي، ٢٠١٣، صفحة ج٢٢، ١٢٥)، واتفق معه في هذا النص بدر الدين العيني الا انه اختلف في اسم الوزير " واشترت دار الوزير ابن جبر بباب الازج ووقفتها على الحنابلة "، (العيني، ٢٠١٠، صفحة ج٣، ١٦٢) الا ان المصادر جميعها اتفقت على ان اسم الوزير **(ابن جهير)** ولعله خطأ في طباعة الاسم عند العيني.ونتلمس اختلاف ابن الساعي مع آراء من سبقه في اصل الارض اذ نسب ملكيتها الى السيدة (بنفشا)، " وجعلت دارها باسفل البلد على شاطيء دجلة مدرسة، ووقفتها على الحنابلة، ووقفت عليها وقوفا "، (بن الساعي، ١٩٦٨، صفحة ١١١).وهذا يعني ان مدرسة **(بنفشا)** او المدرسة **(الشاطئية)** شيدت للحنابلة كونه المذهب السائد في بغداد في تلك المدة في خلافة الخليفة العباسي المستضيء بامر الله (٥٦٦–٥٧٥هـ/١١٧٠–١١٧٩م) الذي اعتنقته السيدة **(بنفشا)**، فجاء تشييدها دعما لهم ولتدريس وتفقيه الناس بالعلوم المتصلة به، وتولى النظر فيها العالم الشهير جمال الدين بن الجوزي الحنبلي المذهب.

ب– **<u>تسلم جمال الدين بن الجوزي مدرسة (بنفشا)</u>**اكتمل بناء المدرسة سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م، وانفرد ابن الجوزي بمعلومات مهمة ودقيقة عن تسليمها اليه وتدريسه فيها، " وفي يوم الخميس ، الخامس والعشرين من شعبان سُلمَت اليّ (ابن الجوزي) المدرسة التي كانت دارا لنظام الدين ابي نصر بن جهير"، (بن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٨، ص٢١٤)، وورد هذ النص ايضا عند ابن رجب، (بن رجب، ١٩٥٢، ج١، ص٤٠٦)وسبق ابن

الجوزي في تسلم مفاتيح المدرسة ابو جعفر بن الصباغ " فبقي المفتاح معه اياما ثم استعادت منه المفتاح وسلمته اليَ (ابن الجوزي) من غير طلب كان مني، وكتبت في كتاب الوقف انها وقف على اصحاب احمد"، (بن الجوزي، ١٩٩٢).ولم يذكر ابن الجوزي والمؤرخين شيئا عن الاسباب التي دعت السيدة **(بنفشا)** الى نقل مفاتيح المدرسة من ابي جعفر بن الصباغ الى ابن الجوزي، سواء أكانت لوشاية وقعت على ابن الصباغ ام للمنزلة العلمية والدينية التي بلغها ابن الجوزي ونال على اثرها التدريس في المدرسة الشاطئية، كما لم نقف على سيرة ابن الصباغ في التراجم والطبقات ونالت المدرسة اهتماما واسعا من العوام والخواص من الناس اذ حضر اليها الآلاف بدءا من قاضي قضاة بغداد الى العوام من باب النوبي الذي عدّ من ابواب دار الخلافة المنسوب الى حارسها " ابو علي الحسن بن محمد بن دكة الاصبهاني، كان بواب دار الخلافة، واليه ينسب باب النوبي"، (الذهبي، ١٩٩٣، ج٢٣، صص٤٧٦-٤٧٧)، وانتظموا حول ابن الجوزي بمنظر كأنه الاعياد لحضور اول درس له والسماع منه، اذ ذكر ابن الجوزي " وتقدم اليَ يوم الخميس المذكور بذكر الدرس فيها، فحضر قاضي القضاة، وحاجب الباب، وفقهاء بغداد، وخلعت عليَ الخلعة وخرج الدعاة بين يدي والخدم، ووقف اهل بغداد من باب النوبي الى باب المدرسة كما يكون في العيد واكثر، وكان على باب المدرسة الالوف والزحام على الباب"، (بن الجوزي، ١٩٩٢) وذكر الرحالة ابن جبير مدرسة **(بنفشا)** سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م اذ رأى جمال الدين بن الجوزي يدرس فيها تلاميذه ظانا انها داره " ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين ابي الفضائل بن علي الجوزي ازاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصيلة آخر ابواب الجانب الشرقي، وهو يجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا... رئيس الحنبلية والمخصوص في العلوم بالرتب العلية.."، (ابن جبير، بلا، ص١٩٦)ولم يرد عند المصنفين او في كتب الطبقات والتراجم روايات تتطابق مع نص ابن الجوزي عن تسلمه المدرسة للتدريس فيها، ولعل عمله فيها استدعى منه ذكر هذه التفاصيل الدقيقة، كما لم نعثر على تفاصيل عمرانية لطريقة بناء المدرسة كوصف دهاليزها، وهندستها، وحدائقها الا ان حضور الآلاف من الناس لحلقات دروس ابن الجوزي يعني سعة ارضها ومساحتها الكافية لاستيعاب واستقبال هكذا اعداد وكعادة المعلم اذا حضر مجلسه تبنى له دكة للجلوس عليها اذ ورد عند ابن الجوزي اعتراض الحنابلة على بناء الدكة لجلوسه " وتقدم ببناء الدكة لنا في جامع القصر في آخر شعبان، فانزعج لهذا جماعة من الاكابر وقالوا: ما جرت عادة للحنابلة بدكة، فبُنيت وجلست فيها يوم الجمعة ثالث رمضان"، (بن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٨، ص٢١٤)ورد عند ابن الجوزي الدروس التي القاها عليهم سماعا، والاموال، والخلع التي انفقت عليهم " فالقيتُ يومئذ دروساً كثيرة من الاصول والفروع، وكان يوما مشهودا لم ير مثله وبقي المتصوفة فباتوا على سماع، وخلعت على الكل خلعاً وفرقت عليهم المال"، (بن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٨، ٢١٥) وذكر ابن الجوزي الحلقات الدراسية التي القاها يوم الخميس في الخامس من رجب عند باب بدر بحضور الخليفة العباسي المستضيء بامر الله " وتقدم اليّ بالجلوس تحت المنظرة بباب بدر، فتكلمت يوم الخميس بعد العصر خامس رجب، وحضر امير المؤمنين، واخذ الناس اماكنهم من بعد صلاة الفجر"، (بن الجوزي، ١٩٩٢)، فهو يضفي طابعا مرموقا ومهما لدروسه اذ ازدحم الناس لسماع علومه منذ صلاة الفجر رغم ان وقت القائه حلقات التعليم عصرا، بل اخذ الناس بشراء مكان لهم بين الزحام للتمكن من سماعه " فكان مكان كل رجل بقيراط حتى انه اكترى، وكان لثمانية بثمانية عشر قيراطا ثم جاء رجل فاعطاهم ست قيراط حتى جلس معهم، وكان الناس يقفون يوم مجلسي من باب بدر الى باب العيد كأنه العيد ينظر بعضهم الى بعض"، (بن الجوزي، ١٩٩٢)واستمر الناس على زحام في انتظار حلقات ودروس ابن الجوزي كل جمعة اذ بلغ عددهم خمسين الفا " وما زال الزحام على حلقتنا كل جمعة، وكانت ختمتنا في المدرسة ليلة سبع وعشرين، فعلق فيها الاضواء ما لا يحصى واجتمع من الناس الوفا كثيرة فكانت ليلة مشهودة، ثم عقدت المجلس يوم الاربعاء سابع شوال تحت المدرسة فاجتمع الناس من الليل وباتوا وحزر الجمع يومئذ بخمسين الفا وكان يوما مشهودا"، (بن الجوزي، ١٩٩٢)، ويبدو انه بالغ فذ ذكر عدد الحضور للسماع عنه وهذا يعني ان السيدة **(بنفشا)** قد وفقت في تشييد المدرسة التي لاقت اهتماما وسيطا واسعا بين العوام، واحتشد الناس لحضور حلقاتها وخاصة التي القاها ابن الجوزي الذي زودنا بمعلومات دقيقة عن طبيعة العلوم التي أُلقيت، وطريقة التدريس فيها، والاعداد التي حضرت مع ذكر الشهر واليوم الا اننا نأسف لعدم تطرق المؤرخين الى هذا المعلم العمراني- الثقافي ويتضح دور المرأة المُشرف في التاريخ واثرها البناء في جوانب عدة حضاريا، وثقافيا، سواء أكانت زوجة الخليفة، او محظيته، او من العوام فقد ساندها الخليفة كونها كانت داعمة للناس ورفاهيتهم وتوفير الخدمات اليهم.

الخاتمة:

تبين لنا من خلال دراسة (النفقات المالية للسيدة بنفشا بنت عبد الله ت ٥٩٨هـ/١٢٠١م) الاتي:

- نقف على سيرة العلماء والشخصيات البارزة في كتب التاريخ والمصنفات الاخرى لفهم سيكولوجية العقل، وطبيعة تدريبه منذ الصغر، واثر البيئة التي نشأوا بها فيما بلغوه من شأن عظيم في وقتهم، وان فقدان مثل هكذا معلومات في كتب الطبقات والتراجم بالامكان معرفتها وتعويضها من

خلال تتبع انجازاتهم وابتكاراتهم العلمية ، اوفي كافة جوانب العلوم اقتصادية، او اجتماعية، كانجازات السيدة **(بنفشا)** العمرانية– التعليمية التي مثلت احد وجوه النفقات المالية الصادرة من خزينة الدولة، وبرزت حسن تعاملها مع الناس، وصدقاتها التي مكنتنا من معرفة جوانب من شخصيتها واثر نشأتها رغم عدم تطرق المصنفات الى حياتها.

– حب الخليفة العباسي **(المستضيء بامر الله)** للسيدة بنفشا لعب دورا رئيسا في تحقيق انجازاتها، فقد كان مساندا وداعما لها، ولاعمالها، ونشاطاتها المتمثلة في بناء الجسور، والرباط، والمدارس وغيرها.

– مشاركة المرأة للرجل في العمران، والتعليم، وفي جوانب اخرى يمثل تقدما واضحا لفكر وثقافة الناس في نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، ويوضح دور النساء المهم في دعم عجلة الحضارة على مر العصور.

– تمثل مدرسة **(بنفشا)** او المدرسة **(الشاطئية)** مدرسة المذهب الحنبلي السائد في بغداد في تلك المدة من خلال تدريس وتعليم كل ما يخص المذهب من الاصول والفروع تصدرها شيخ الحنابلة والعالم جمال الدين بن الجوزي، ونالت اهتماما واسعا وحضورا ملهما لاهالي بغداد.

– التقدم الكبير الذي بلغته العلوم العمرانية– الهندسية مثل تصميم وبناء السقاية لاهالي بغداد التي لاقت انبهارا شديدا منهم بدواليبها الاربعة وانشد في جمال عمرانها الشعراء.

المصادر والمراجع:

اولا: المصادر:

- ابو الحسن علي بن الاثير. (١٩٩٧). الكامل في التاريخ (المجلد ط١). بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير . (بلا). رحلة ابن جبير. بيروت: دار بيروت.
- ابو العباس احمد بن خلكان . (١٩٩٤). وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان (المجلد ط١). بيروت: دار صادر.
- ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. (١٩٩٢). المنتظم في تاريخ الملوك والامم. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابو الفرج عبد الرحمن بن رجب. (١٩٥٢). الذيل على طبقات الحنابلة. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.
- ابو الفضل احمد علي بن حجر العسقلاني. (بلا). تبصير المنتبه بتحرير المشتبه. بيروت: المكتبة العلمية.
- ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي. (١٩٩٧). تاريخ بغداد او مدينة السلام (المجلد ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.
- زين الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الرازي(١٩٩٩)، مختار الصحاح، بيروت: الدار النموذجية.
- ابو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، (١٩٨٢)، الانساب، حيدر آباد الدكن: مجلس دائرة المعارف العثمانية.
- بدر الدين محمود العيني. (٢٠١٠). عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.
- ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي. (١٩٩٥). معجم البلدان (المجلد ط٢). بيروت: دار صادر.
- تاج الدين ابو طالب علي بن الساعي. (١٩٦٨). نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والائماء. القاهرة: دار المعارف.
- تقي الدين احمد الادمي. (٢٠٠٣). المنور في راجح المحرر (المجلد ط١). بيروت: دار البشائر.
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. (١٩٧٦). المستظرف من اخبلر الجواري. بيروت: دار الكتاب الجديد.
- شمس الدين ابو المظفر سبط بن الجوزي. (٢٠١٣). مرآة الزمان في تواريخ الاعيان. دمشق: دار الرسالة العالمية.
- شمس الدين محمد بن احمد الذهبي. (١٩٩٣). تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام (المجلد ط٢). بيروتدار الكتاب العربي.
- صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي. (٢٠٠٠). الوافي بالوفيات. بيروت: دار احياء التراث.
- عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير. (١٩٩٧). البداية والنهاية (المجلد ط١). اسطنبول: دار هجر.
- محمد بن احمد بن بسام المحتسب. (٢٠٠٣). نهاية الرتبة في طلب الحسبة (المجلد ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

ثانيا: المراجع:

- عماد عبد السلام رؤوف. (١٩٧٩). تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد. مجلة المورد، عدد ٤.